

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ٤ / ٢٠٠٠

الأحد ٢٣ كانون الثاني

القديس الشهيد في الكهنة

إكليموس أسقف أنقرة

والقديس أغثانجلوس الشهيد

اللحن الأول

إنجيل السحر الأول

الرسالة (١ تيموثاوس ١ : ١٥-١٧)

الإنجيل (لوقا ١٨ : ٣٥-٤٣)

+ البارة أكساني الرومية

تُعَدُّ الكنيسة المقدسة في الرابع والعشرين من كانون الثاني لتذكّار أمنّا البارة أكساني الرومية أو كسينيا الرومية، التي فضلت العيشة الرهبانية والنسك على حياة الغنى والشرف والترّف، عيشة شبيهة بعيشة الملائكة ولكن على الأرض.

وُلدت أكساني في روما في أوائل القرن الخامس من عائلة مسيحية غنية وتُعتبر من الاشراف. اسمها في الأصل وفي المعمودية أفسافيا أي «التقية»، فعاشت فعلاً في التقى والورع ومحبة الرب. كانت على قدر كبير من الجمال

فتقدم الكثيرون للزواج منها، لكنها لم ترغب الزواج بل أن تصير راهبة. فرض أهلها عليها الزواج من أحد الشبان، فقبلت ظاهرياً وخطت للهرب إلى مكان بعيد. وكان هروبها في ليلة زفافها مع إثنين من جواربها، وحرصت أن يبقى الموضوع سرياً.

قصت أفسافيا ورفيقتها الميناء القريب وصعدن إلى أحد المراكب وهن يبكين من الفرح لأن الرب حسبهم متأهلات للتخلي عن كل شيء من أجل اسمه القدوس. رسا المركب في الاسكندرية، ومن هناك انطلق في مركب آخر إلى جزيرة كوس اليونانية (جنوب شرق بحر ايجيه). هناك سكن في منزل معزول وغيرت أفسافيا اسمها إلى أكساني أي «غريبة» لأنها أرادت أن تكون بنعمة الله مثل ابراهيم، عائشة في أرض غريبة، وليس لها أحد تتكل عليه إلا الله. سعت أكساني ورفيقتها أن يكون لهنَّ أبٌ رُوحى يرشدهنَّ في الحياة في المسيح. فصلين كثيراً إلى الله لكي يرسل لهنَّ هكذا إنسان. استجاب الله لتضرعاتهنَّ وأرسل لهنَّ راهب وقور وتقي، اسمه بولس وهو رئيس لأحد الأديار في شمالي شرق الجزيرة. عرض عليهنَّ الانتقال للعيش في منسك قرب دير، فقبلن ذلك بفرح وانتقلن للعيش قرب دير القديس الشماس استفانوس. ذاع صيت أكساني ومن معها فقصت كثير من الفتيات المكان للعيش معهنَّ فتحول المنسك إلى دير مع الوقت. أنعم الله على أكساني موهبة صنع العجائب، ولمعت هي في الفضائل وحياة النسك.

بعدما انتخب الراهب بولس أسقفاً على مدينة ميلاسا، جعلها شماسية في الكنيسة رغم معارضتها. بقيت أكساني تهتم براهبات ديرها طيلة الوقت وكانت نموذجاً لهنَّ في النسك والجهاد. كانت تأكل مرة كل ثلاثة أيام في الأيام العادية، ومرة في الأسبوع في زمن الصوم. وكان طعامها من الخبز اليابس المبلل بالماء. وكثيراً ما كانت تبل الخبز بماء دموعها، التي كانت تذرفها أثناء الصلاة، وبالرماد حسب قول المزمور: «أكلت الرماد مثل الخبز ومزجت شرابي بدموع» (مزمور 9:102). كانت تجاهد أن تبقى الليل كله في الصلاة، من ساعة الغروب إلى الشروق. كما اختبر الجميع وداعتها ومحبتها لله والناس.

لما اقتربت ساعة وفاتها، دعت الراهبات في الدير وأعطتهنَّ الارشادات الأخيرة ومنحتهنَّ بركتها، ثم أقفلت على نفسها في الكنيسة إلى أن أسلمت الروح

وكان ذلك عام ٤٧٠. عند وفاتها فاحت رائحة طيب من الكنيسة. دُفن جسدها بمهابة وكان هذا الجسد مصدر شفاء لكثيرين. بعد فترة وجيزة توفيت رفيقتها اللتان هربتا معها من بيت أهلها، وانتقلا إلى الأخدار السماوية ملتحقين بالقديسة أكساني. فبشفاعتهم اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.

+ تعليم القديس إغناطيوس الإنطاكي

في ٢٩ كانون الثاني تعيدُ كنيستنا المقدسة لنقل رفات القديس إغناطيوس الإنطاكي المتوشح بالله.

القديس إغناطيوس الإنطاكي هو الأسقف الثالث على مدينة الله العظمى إنطاكية بعد بطرس الرسول وإفوديوس، وقد لمع نجمه في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني. عرف إغناطيوس الرسل القديسين وكان من تلاميذ الرسول يوحنا الإنجيلي، وبحسب التقليد الكنسي فقد كان إغناطيوس ذاك الطفل الذي دعاه يسوع وأقامه في وسط تلاميذه «وقال: الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات...» (متى ١٨:٣). يسمى إغناطيوس نفسه في رسائله «الحامل الإله» أو «المتوشح بالله»، و«الحامل المسيح في صدره». قضى القديس إغناطيوس شهيداً بين أنياب الأسود حسبما كان يستشهد المسيحيون في تلك الأيام، على عهد الملك تراجان (٩٨-١١٧) في روما حوالي العلم ١٠٧. تُعيدُ الكنيسة المقدسة لاستشهاد القديس إغناطيوس في العشرين من كانون الأول، وتُعيدُ لنقل رفاتهِ من روما إلى إنطاكية في الثلاثين من كانون الثاني.

عندما اقتيد إغناطيوس من إنطاكية، حيث دُعي المسيحيون أولاً، إلى روما لم تكن أسفار الكتاب المقدس (ما يُعرف بقانون الكتاب المقدس) قد جمعت مع بعضها في كتاب واحد كما هو لدينا اليوم. في طريقه إلى الاستشهاد برفقة الجنود، مر إغناطيوس بعدد من المدن مثل ازمير وطرواده. ومن هذه المدن أرسل سبعة رسائل إلى أهل أفسس ومغنيسية وتراليان ورومية وفيلادلفيا وازمير وإلى الأسقف بوليكرسوس، يشددهم في الإيمان والثبات في المسيح. كما ان هذه الرسائل تظهر الشجاعة التي تحلى بها إغناطيوس حيث يدعو أهل روميه ألا يسعوا إلى تخليصه من الاستشهاد: «... أطلب فقط أن تتركوني لأقدم دمي ضحية على مذبح الرب ما دام المذبح معداً... جميلٌ أن نغيب عن العالم باتجاه الله

لنشرق فيه... إني أكتب إلى الكنائس كلها لأعلن لها إني أموت بمحض اختياري من أجل المسيح، إذا لم تمنعوني على الأقل، ... اتركوني فريسة للوحوش. إنها هي التي توصلني سريعا إلى الله. أنا قمح الله أطحن تحت أضراس الوحوش لأخبز خبزا نقياً للمسيح. اغروا الوحوش لتصير قبرا لي فلا تترك شيئا من جسدي... إني أتوق للوحوش التي تنتظرنني. إني أضرع لتتقض علي سريعا. إني سأغريها لتفترسني سريعا. لا لن أكون كـبعض الناس الذين يخافونها ولا يجسرون أن يلامسوها. إني سأجبرها على افتراسي إذا رفضت مدفوعة بنية سيئة. أرجوكم أن تتركوني وشأني إني أعرف ما يوافقني، لقد ابتدأت أن أكون تلميذاً للمسيح». سعي إغناطيوس للاستشهاد كان حياً بالافتداء بيسوع المسيح: «دعوني أقلد ربي بالآمي» (رومية). ويدعو الجميع إلى الافتداء بالمسيح كما كان بولس الرسول يفعل: «فاقتدوا أنتم بالمسيح كما اقتدى هو بأبيه» (فيلادلفيا).

أفرغ إغناطيوس في رسائله فكر إنطاكية وارثها في ذلك الوقت. لاهوته رعائي كتبه بالهام الروح القدس: «سأكتب إليكم إذا ألهمني الله شيئا». من الأسر أغنانا بتعاليم مهمة وإرشادات دقيقة حول الثالوث والتجسد والافخارستيا والفداء والأسقفية والوحدة في الكنيسة ومقاومة الانشقاق عن جسد الكنيسة. وكان أول من استعمل العبارة اليونانية «كاثوليكي» أي «الجامعة» بالاشارة إلى كنيسة المسيح «حيث يكون المسيح هناك تكون الكنيسة الجامعة» (الرسالة الى أهل ازمير).

الافخارستيا بالنسبة للقديس إغناطيوس الإنطاكي هي «علاج الخلود وترياق الموت والحياة الخالدة بيسوع المسيح» (أفسس) حتى انه عبر عن استشهاد بعبارة افخارستيا كما قرأنا أعلاه. والافخارستيا، أي سر الشكر «هو جسد مخلصنا يسوع المسيح، الجسد الذي تألم من أجل خطايانا والذي أقامه الله الأب بصلاحه» (الرسالة الى أهل ازمير). حيث الافخارستيا هناك جسد يسوع و«حيث يكون المسيح هناك تكون الكنيسة الجامعة» (ازمير). وهكذا مع إغناطيوس تتوضح هيكلية الكنيسة التي تتمحور حول سر الشكر. موهبة الأسقف أن يرأس الجماعة في الاجتماع الافخارستي «سر الشكر هو السر الذي يتممه الأسقف أو من أوكل إليه ذلك. حيث يكون الأسقف هناك يجب أن تكون الرعية كما انه حيث يكون المسيح هناك تكون الكنيسة الجامعة. بدون الأسقف لا يجوز العماد ولا ولائم المحبة. ما يوافق عليه الأسقف هو المقبول عند الله» (ازمير). إذا الأسقف هو صورة المسيح، هو رمز وحدة الرعية لأنه الموكل بإقامة سر الشكر، والكل يجتمعون

حول الأسقف في مكان واحد حيث الأسقف هناك الرعية، الكنيسة. «رعية واحدة وراعٍ واحد» (يوحنا). أهمية الأسقف ناتجة عن أهمية سر الشكر، الافخارستيا، لأنه هو الموكل بسر الشكر وهناك يكون المسيح حاضراً بملئه، وبالتالي تكون الكنيسة المحلية هي الكنيسة الجامعة.

وحدة الكنيسة في يسوع المسيح تتمثل في وحدة أبنائها حول مجمع الكنيسة المتألف من السقف ومجمع الكهنة والشمامسة. وهذا كله في سر الافخارستيا: «إياكم والاشتراك بغير سر الشكر الواحد لأنه لا يوجد غير جسد واحد لربنا يسوع المسيح وكأس واحدة توحدنا بدمه ومذبح واحد، كما يوجد أسقف واحد مع متقدين والشمامسة رفقتي في الخدمة وهكذا كل ما تفعلونه بحسب الله» (فيلادلفيا). الجمعية قائمة على سر الشكر: «اصغوا للأسقف لكي يصغي لكم الله. إني أقدم ذاتي من أجل الذين يخضعون للأسقف والكهنة والشمامسة» (بوليكربوس). «على الجميع أن يحترموا الشمامسة كالمسيح يسوع، والأسقف كصورة الأب، الكهنة كمجلس الله ومصف الرسل. بدون هؤلاء لا توجد كنيسة» (مغنيسية).

يركز إغناطيوس أيضاً على مقاومة الذين يحاولون الانشقاق عن جسد الكنيسة. فيقول ان «من اتبع الشقاق لا يرى ملكوت الله. ومن اتبع فكرة غريبة لا ينسجم مع آلام المسيح» (فيلادلفيا). «لا يخدعنكم أحد ولن تتخذوا لأنكم كلكم أبناء الله. إذا عجزت الشقاكات والخلافات أن تتال منكم فإنكم تثبتون انكم تحيون بحسب الله» (أفسس). حارب إغناطيوس بدعة المشبهة الذين أنكروا جسد المسيح وتألهه وقالوا انه لم يكن له جسد وإنما شبه لهم. «صموا آذانكم عندما تسمعون كلاماً لا يكون عن المسيح ابن داود المولود من مريم العذراء، عن المسيح الذي ولد حقاً وأكل وشرب واحتمل الآلام على عهد بيلاطس البنطي ومات على الصليب أمام السماء والأرض وما تحت الأرض، وقام من بين الأموات... إذا كان المسيح تألم ظاهرياً كما يقول البعض من الملحدين، وما هؤلاء إلا مظهر، فما معنى القيود التي أحملها؟ في مثل هذه الحالة يكون موتي عبثاً وما أقوله عن المخلص خرافة. ابتعدوا عن هذه الأغصان الطفيلية إنها تحمل أثماراً سامة تقتل كل من يتذوقها فوراً. لم تكن هذه الأغصان من غرس الأب» (ترالبيان). في هذا النص نجد أيضاً تشديداً على فكرة تجسد الإله.

فكرة الثالوث واضحة لدى إغناطيوس: «إنكم حجارة لهيكل الرب معدة للبناء الذي يشيده الله الأب، ترتفع إلى الأعالي بألة يسوع المسيح، بصليبه،

مستعملة من أجل ذلك حيال الروح القدس» (أفسس). الإنسان في ارتفاعه إلى الله لا يملك إلا الكائن المثلث الأقانيم. فالثالوث يعمل وعمله واحد. من إرشادات القديس إغناطيوس الرعائية: «صلوا بلا انقطاع من أجل الآخرين لأنكم تقودونهم إلى الرب على رجاء التوبة. افسحوا لهم المجال ليتتقوا في مدارس أعمالكم. واجهوا غضبهم بالوداعة، وتبجحهم بالدعة، وشتائمهم بالصلاة، وضلالهم برسوخ الإيمان، وفضاظة أخلاقهم بدمائة الطبع. ولا تردوا لهم شرهم بشر. كونوا لهم أخوة بالرحمة ولنحاول أن نتشبهه بالسيد ولنتبارى في حمل الظلم والمهانة والاحتقار حتى لا يكون للشيطان في قلوبكم مكان ينبت فيه عشبه. اثبتوا في النقاوة الكاملة والتعقل جسدياً وروحياً في يسوع المسيح» (الرسالة إلى أفسس).

+ تأمل

المجد لله الذي يحبنا حتى المنتهى، والذي يسامحنا بروحه القدوس، ويغفر خطايانا ويكشف لنا أسرار ه.

أوصانا السيّد قائلاً: " احبّوا اعداءكم " (متى ٥: ٤٤) لكن كيف يمكننا أن نحبهم عندما يفعلون الشر ؟ أو كيف نحب أولئك الذين يضطهدون الكنيسة المقدّسة؟

عندما كان السيّد متجهاً إلى أورشليم، رفض السامريّون أن يستقبلوه، فتحرك يوحنا اللاهوتي ويعقوب لكي ينزلا الصواعق ونار السماء حتى تفني ذلك الشعب. لكن السيّد قال لهما بكل طيبة: " أنا لم آت لأهلك العالم بل لأخلصهم " (لو ٩: ٥٤-٥٦). هكذا نحن أيضاً، علينا أن لا نمك إلاً فكراً واحداً : أن يخلص الجميع. هكذا ترأف النفس بالأعداء وتبدأ الصلاة لأجلهم، لأنهم تغربوا عن الحقيقة وذهبوا إلى الجحيم ٠٠٠ هذا هو الحب للأعداء. وعندما نوى يوحنا أن يخون السيّد، استرجعه الرب بطيب وسامحه. نحن أيضاً، علينا أن نتصرّف بركة بطيب مع الضالين ، فنخلص برحمات الله.

إننا نعرف الحب بواسطة الروح القدس، والنفس تتعرّف على الروح القدس بالسلام وبالعدوّة.

آه! كم علينا أن نشكر الله لأجل حبه العظيم لنا !

فكّروا إذاً يا إخوتي الأحباء أن الله يمنح النفس الخاطئة روحه القدوس ويسمح لها بمعرفة صلاحه.

ولكي نعرف الله لسنا بحاجة إلى غنى، بل علينا أن نحب القريب فقط، وأن نمثلك روحاً متواضعة، وأن نكون خفرين مطيعين. بهذه المرافق البسيطة يسمح لنا السيّد بأن نعرفه.

وهل في الكون كله أثنى من هذه المعرفة ؟ أن نعرف الله وأن نعرف كم يحبنا وكيف يربينا روحياً ؟

أين لنا أن نجد أباً يقبل أن يموت على صليب من أجل آثام أولاده وجرائمهم ؟ ... عرفاً، فإن الوالد يحزن ويلوم ابنه المفروض أن يعاقب لأجل جرائمه ، ولكن لأنه شفيق على ابنه، فإنه يقول له على كل حال: " إنك لم تتصرف بشكل جيد ولاثق، ومن العدل أن تقاصص لأجل أفعالك الشنيعة " .

أما السيد فلا يقول لنا هذا أبداً. وكما قال للرسول بطرس: أتحبني ؟ ، فإنه سيقول لكل البشر في الفردوس: أتحبونني ؟" والكل سيجيب : " نعم يا سيّد، نحن نحبك ، فأنت خلّصتنا بالآلام الصليبية، والآن قد أعطيتنا الملكوت السماوي أيضاً. "

في السماء، لن يخجل أي إنسان كما خجل آدم وحواء بعد السقوط، ولن يكون هناك إلا العذوبة والتواضع والحب. لن يكون هناك التواضع الذي نعرفه الآن على الأرض، أي الاتضاع بتحملنا التعبيرات، او عندما نفكر بأنفسنا أننا أقلّ وأسوأ جميع البشر، بل سيكون لنا تواضع المسيح غير المدرك بالنسبة للبشر، والمعروف فقط من الذين خبروه بالروح القدس .

إني لا أفهم لماذا لا يسأل البشر أن يكون لهم سلام المسيح. إن السيد يحبنا الى درجة لا يرفض لنا أي طلب. مرات كثيرة لما أكن أعرف هذا وكنت أتساءل: هل سيهتم بي السيد، أنا الذي إغضبته الى هذا الحد ؟ إذ ذاك كانت تمتلىء روعي بالحب الإلهي وبعذوبة الروح القدس، ومع تلك الوفرة وذلك الدفق كنت أحسّ وكأن السيد يقول لي : " أتريد أن أمنحك بعد من حبّي ومن نعمة الروح القدس ؟" وكانت روعي تقول : " أنت ترى يا سيّد اني لا أستطيع التحمل أكثر وإلا قضي عليّ".

فإذا كانت رحمة الله غزيرة لهذا الحد، حتى لخاطيء مثلي، فماذا، تقول، إذًا، عن القديسين ؟ أه ما أعظم النعم التي لهم ؟

القديس سلون الأثوسي